



Arabiyya : Jurnal Studi Bahasa Arab

P-ISSN 2338-4964 (Print), E-ISSN 2615-238X (Online)

Available online: <https://ejournal.staindirundeng.ac.id/index.php/arabiyya>

نشأة اللغة العربية ولهجاتها

Mahdi Wahyuni Salam

Email: mahdi_salam@rocketmail.com

IAIN Takengon

Abstract

This study aims to determine the origin of Arabic and its dialects. Arabic is considered one of the most sacred languages for Muslims, and they consider learning it a religious obligation. It is the language of belief and the language of civilization, which unites Muslim nations from various countries in the world. This is the language of the Qur'an and the language spoken by the prophet Muhammad. It is one of the most widely spoken languages in the world today. This language belongs to the Hamitic and Semitic languages, and in particular the South Semitic language family. They come from the Southwestern part of the Peninsula, namely the countries of Najd, Hejaz, Yemen and so on. There are several reasons that cause the emergence of dialects in Arabic, those are: geographical and social reasons, language friction and mixing as a result of invasion, migration of proximity, individual reasons, political and natural factors. There are many dialects among Arabs, some dialects are considered more fluent than other dialects, namely the Quraysh, Hijaz, Najd and Asad dialects. Then the Quraysh dialect mastered all the languages of the Arab tribes for various reasons, including: geographical, religious, cultural, economic and political factors.

Keywords: Arabic development, Language family, Dialect

Abstrak

Penelitian ini bertujuan untuk mengetahui asal-usul Bahasa arab dan dialeknya. Bahasa arab dianggap sebagai salah satu Bahasa paling suci bagi umat islam, dan mereka beranggapan bahwa mempelajarinya adalah sebagai kewajiban agama. Ini adalah Bahasa kepercayaan dan Bahasa peradaban, yang menyatukan bangsa muslim dari berbagai negara di dunia. Ini adalah Bahasa al-Qur'an dan Bahasa yang diucapkan oleh Nabi Muhammad. Ini adalah salah satu Bahasa paling banyak tersebar di dunia saat ini. Bahasa ini termasuk dalam jenis Bahasa Hamitik dan Semit, dan khususnya rumpun Bahasa Semit Selatan. Mereka berasal dari bagian semenanjung barat daya, yaitu

negara-negara Najd, Hijaz, Yaman dan sebagainya. Ada beberapa alasan yang menyebabkan munculnya dialek dalam Bahasa Arab, yaitu: alasan geografis, alasan sosial, gesekan bahasa dan pencampurannya sebagai akibat dari invasi, migrasi atau kedekatan, alasan individu, faktor politik, dan faktor alam. Terdapat banyak dialek di kalangan orang Arab, beberapa dialek dianggap lebih fasih dari dialek lainnya, yaitu dialek Quraisy, Hijaz, Najd dan Asad. Kemudian dialek Quraisy menguasai semua bahasa suku-suku Arab karena berbagai alasan, antara lain: faktor geografis, agama, budaya, ekonomi dan politik.

Kata Kunci: Perkembangan bahasa Arab, rumpun Bahasa, Dialek

مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة نشأة اللغة العربية ولهجاتها. اللغة العربية تعتبر من أقدس اللغات لدى المسلمين، ويعتبرون تعلمها واجباً من واجبات الدين، وهي لغة العقيدة ولغة الحضارة والتي توحد أمة المسلمين من مختلف أقطار العالم وهي لغة القرآن الكريم واللغة التي يتكلم بها نبينا محمد. وهي من اللغات الواسعة الانتشار في العالم اليوم. وهذه اللغة تدخل إلى فصيلة اللغات الحامية والسامية، وإلى فصيلة اللغة السامية الجنوبية بوجه خصوص. وموطنهم الأصلي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة وهي بلاد نجد والحجاز واليمن وما إليها. هناك عدة أسباب التي تؤدي إلى نشأة اللهجات في اللغة العربية، وهي: أسباب جغرافية، وأسباب اجتماعية، واحتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور، وأسباب فردية، والعامل السياسي، والعامل الطبيعي. توجد لهجات كثيرة عند العرب، ولكن هناك عدة لهجات تعتبر أفصح من غيرها من اللهجات وهي لهجة قرينش، لهجة أهل الحجاز، لهجة أهل نجد، ولهجة أسد. ثم تغلبت لهجة قرينش على سائر لغات القبائل العربية لأسباب، منها: العامل الجغرافي، والعامل الديني، والعامل الثقافي، والعامل الإقتصادي، والعامل السياسي.

الكلمات المحورية: نشأة، اللغة العربية، فصيلة اللغة، لهجة

أ- مقدمة

اللغة العربية -تسمى لغة الضاد، ولغة الإعجاز، واللغة الفصحى، واللغة الخالدة- هي الكلمات التي كان يعبر بها العرب. ونسبت هذه اللغة إلى العرب لأنها

لغتهم التي فتقت عليها أسماعهم، وداونت عليها رحي بيانهم في التعبير عن أغراضهم. وقد وصلت إلينا هذه اللغة عن طريق النقل، وحفظها لنا القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وما رواه الثقات من مشور العرب ومنظومهم. هذه اللغة مقدسة باعتبارها لغة القرآن والاسلام، حيث لا تتم الصلاة والعبادات الأخرى في الدين الإسلامي إلا بإتقان اللغة العربية.¹

فاللغة العربية هي واحدة من أكثر اللغات انتشاراً ضمن مجموعة اللغات وتعتبر إحدى اللغات الستة الرسمية في منظمة الأمم المتحدة، ويتم الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية في الثامن عشر من ديسمبر من كل عام. وكان انتشار الدين الإسلامي تأثيراً مباشراً وغير مباشر في رفع شأن ومكانة اللغة العربية بين اللغات الحية، حيث أصبحت لغة العلم والأدب والسياسة لأزمنة طويلة في الديار التي حكمها المسلمون. كما كانت قديمة تحتل مكان الصدارة بين اللغات المشهورة. حيث ينظر إليها العربي عامة والمسلم خاصة بشيء من التقديس والاحترام وينظر إليها الغربي المنصف بشيء من الإعجاب والإكبار.

فقد فتح القرآن الكريم وأحاديث الرسول للغة العربية أبواباً كثيرة من فنون القول فعولجت فيها أمور لم تكن العربية معلومة بعلاجها من قبل، كمسائل القوانين والتشريع، والقصص والتاريخ، والعقائد الدينية والإصلاح الاجتماعي والنظم السياسي ودراسة مظاهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات وغيرها من أمور الحياة والممات.²

بالإضافة لذلك فقد نأ، للغة العربية تأثير كبير على عدد من اللغات الأخرى على امتداد العالم الإسلامي كالفارسية، والتركية، والكردية، والأمازيغية، والماليزية، والأردنية، والألبانية، والإندونيسية، وبعض من لغات جنوب إفريقيا كالسواحلية والهاوسا والأمهرية والنجربة والصومالية، إضافة لبعض من اللغات الأوروبية وخاصة البرتغالية، والإسبانية، والصقلية، والمالطية، ويتم تدريسها

¹ بدر الدين أبو صالح، المدخل إلى اللغة العربية، ط/2 (بيروت: دار الشرق العربي، ب.ت)، ص. 15

² على عبد الواحد وافي، فقه اللغة (القاهرة: نهضة مصر، 2008)، ص. 94

بشكلٍ رسمي أو اختياري في عددٍ من الدول الإفريقية والإسلامية المحاذية للبلاد العربية.

ب- فصيلة اللغة العربية

هذه الفصيلة اللغوية البشرية تتكون من عدة، فينبغي عليه أن يبين أولاً فصيلة اللغات التي تندرج منها اللغة العربية بأخواتها. تشمل هذه الفصيلة على مجموعتين³:

1- مجموعة اللغات الحامية

وتشمل على ثلاثة طوائف:

إحداها : اللغات المصرية القديمة والقبطية

والثانية : اللغات الليبية أو البربرية، وهي لغات السكان الأصليين لشمال إفريقيا، وأهمها

اللغات القبلية (Kabyles)، والشاوية، والتماشكية.

والثالثة : اللغات الكوشيتية، وهي لغات السكان الأصليين للقسم الشرقي من إفريقيا التي تشمل اللغات الصومالية، ولغات الجالا، والبدجا، ودنقلة، ما عدا المنطقة الحبشية الناطقة بلغات سامية، وما عدا مناطق السودان.

2- مجموعة اللغات السامية

وتشمل على طائفتين:

إحدهما : اللغات السامية الشمالية التي تشمل لغات الأكادية أو الآشورية البابلية، واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية)، واللغات الآرامية.

والثانية : اللغات السامية الجنوبية التي تشمل لغات العربية، واليمينية القديمة، واللغات الحبشية السامية.

من هذه الفصيلة اللغوية فتدخل اللغة العربية إلى فصيلة اللغات الحامية والسامية، وإلى فصيلة اللغة السامية الجنوبية بوجه خاص. واستعمال اصطلاح

³ على عبد الواحد وافي، فقه اللغة ...، ص. 6

الحامية والسامية تعود إلى ابن آدام عليه السلام وهما حام وسام الذان نجا من الغرق مع نوح.

وأول من أطلق تسمية الشعوب السامية على هذه الشعوب هو العالم الألماني شلو تزر (Schlozer)⁴، في أواخر القرن الثامن عشر، وكان ذلك في تحقيقاته حول تاريخ الأمم الغابرة سنة 1981م. وهو اقتبس هذا المصطلح من أنساب نوح عليه السلام الناجون من الطوفان، وهم سام، وحام، ويافت، الذي ذكروا أسمائهم في التوراة، والشعوب التي انحدرت من كل ولد منهم.

وجاء رياً آخر أن تسمية اللغات السامية هي تسمية اصطلاحية، فلا توجد أمة تسمى بالسامية. وقدم طه باقر⁵ تسمية لهذه الشعوب مخالفاً بالأخر بتسمية اللغات الجزرية بدلاً من اللغات السامية. والسبب في ذلك أن اللغات السامية بنيت على أساس غير علمي فقد تعلق بأنساب بن نوح وهو سام، ولأنها ارتبطت بصورة واضحة بمصطلح لا يخدم الأمة العربية في ماضيها ولا حاضرهما ولا مستقبلها، وأكد رأيه بناء على أن الجزيرة العربية كان أول الموطن لهذه الشعوب على إجماع الباحثين.

ج- الموطن الأول للشعب السامي

وقد دفعت العلاقة المتينة القائمة بين اللغات السامية العلماء إلى الاعتقاد بأن هذه اللغات متفرعة عن أصل واحد، هو اللغة السامية الأم أو الأصلية، وراحوا بعد ذلك يبحثون عن الموطن الأول الذي كان مهد الشعوب السامية. هذا إن الرجوع هذه اللغات جميعها إلى فصيلة واحدة ليحمل على الظن أن الأمم الناطقة بها ترجع إلى أصل واحد، وأنها قبل تفرقها تؤلف وحدة شعبية.

وقد اختلفت الآراء في الموطن الأول للشعب السامي إلى ستة آراء وهي:⁶

⁴ محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله (بيروت: المكتبة العصرية، 2008)، ص. 109

⁵ حاتم صالح ضامن، فقه اللغة (القاهرة: دارالآفاق العربية، 2007)، ص. 29

⁶ عليعبد الواحد وافي، فقه اللغة ص. 9

- 1- فبعضهم يذهب إلى أن الساميين قد نشئوا ببلاد الحبشة، ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب، ومن هذا القسم تنتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية.
 - 2- وبعضهم يذهب أن الموطن الأول للساميين كان شمال أفريقية، ومنه نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس.
 - 3- ورأى بعضهم أن الموطن الأول هو أرمينية بالقرب من كردستان. وهذه الآراء الثلاثة ضعيفة حيث أن أحد من أصحابها لم يقدم دليلاً لتأكيد آرائهم.
 - 4- وذهب العالم جويدي إلى أن موطنهم الأول كان في نواحي جنوب العراق، على نهر الفرات. ويقدم الدليل أن بعض كلمات مشتركة في جميع اللغات السامية تتعلق بال عمران والحيوان والنبات، فقد ظهر له من طبيعة هذه الكلمات وأصواتها ومدلولاتها ومن شواهد أخرى كثيرة أنها نشأت بجنوب العراق، ويتخذ من اشتراكها في جميع اللغات السامية. ويستدل أصحاب هذا الرأي بهذه الظواهر اللغوية المشتركة على أن هذه المنطقة كانت أول الموطن للشعب السامي.
 - 5- ويرى بعضهم أن كنعان هو الموطن الأول للشعب السامي. ويستدل على ذلك بأن الساميين كانوا منتشرين في البلاد السورية القديمة في أزمنة سحيقة في القدم، وأن مدينتهم في هذه البلاد لا تعرف نشأتها ولا تعرف قبلها مدينة أخرى.
 - 6- ورأى العالم الفرنسي أرنست رينان (Ernest Renan)، والعالم الألماني بروكلمان (Brockelmann) وعدد كبير من قدامي المستشرقين ومحدثهم، فإنهم يرون أن القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إلى ذلك) هو الموطن الأول للشعب السامي. وهذا هو أصح الآراء وأقواها سنداً وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ.
- ويقدم أصحاب هذا الرأي أدلة كثيرة من انتشار هذا القوم، ومن أهمها:⁷
- (أ) أن الهجرة في هذه البلاد كانت تتجه دائماً، في العصور السابقة للتاريخ وفي العصور التاريخية، من القسم الجنوبي الغربي "بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إليها" إلى الشمال والشرق "سوريا والعراق وما إليها".

⁷ عليعبد الواحد وافي، فقه اللغة.... ص. 11.

ب) فمن هذا القسم نزح الساميون إلى جنوب العراق وغزوا بلاد السومريين وغلبوهم على أمرهم وأنشئوا بهذه المنطقة دولة عظيمة ومدينة زهرة "دولة بابل".

ج) ومن هذا القسم كذلك نزح الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالتهم الشعوب التي عرفت باسم "الكنعانية". ويظهر أنه تخلف منهم شمال الحجاز تلك القبائل التي عرفت عند العرب باسم "قبائل ثمود، والتي تركت في هذه المنطقة نقوشا كان لها شأن كبير في الوقوف على ناحية من تاريخ اللغات السامية عامة واللغة العربية على وجه الخصوص.

د) ومن هذا القسم كذلك حدثت هجرة ثانية إلى العراق كان من أثارها أن قبض الساميون على زمام الحكم في معظم بلاد العراق وأسسوا بها الدولة الكلدية الخامسة التي كان من ملوكها حمورابي.

هـ) من هذا القسم نزح بعض القبائل الإسماعيليين "نسل إسماعيل عليه السلام وكان موطنهم الأصلي بلاد الحجاز" إلى الشمال". ومن أشهر هذه القبائل "بنو قيدار وبنو نابت". فبنو قيدار فقد انتقلوا من الحجاز إلى يثرب ومنها إلى مدائن صالح حيث تركوا بعض نقوش وفق العلماء حديثا إلى كشفها وحل رموزها، ومن مدائن صالح تابعوا هجرتهم شمالا إلى خليج العقبة، ومنه إلى وادي موسى حيث ألقوا عصا الترحال، وأما بنو نابت "المعروفون بالنبط والنبطيين - وهم غير أنباط العراق -"، فقد نزحوا مع بني قيدار من الحجاز إلى الشمال واستقروا في منطقة خليج العقبة حيث كانوا مملكة عظيمة وتركوا أثارا كثيرة، وفيهم ظهر الخط المعروف بالخط النبطي الذي اشتق من الخط العربي.

و) ومن هذا القسم نزح في أوائل التاريخ الميلادي بعض القبائل المعدية "التي كان موطنها الحجاز"، إلى الشام، وبعض القبائل القحطانية "التي كان موطنها اليمن"، إلى الحجاز والشام والشرق، فنزلت منها خزاعة بمكة، والأوس والخزرج بيثرب، وغسان بالشام، ولخم بالعراق.

اعتمادا على آراء العلماء وبياناتهم السابق عن هجرة السامية الأولى من موطنهم الأصلي إلى الحبشة أن لكل من هذه النزوح تنطلق من بلاد اليمن، بمعنى أن المهدي الأول لجميع الشعوب السامية كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة وهي بلاد نجد والحجاز واليمن وما إليها.

د- لغة شعب الشام

إن من مشكلة اختلاف الباحثين في تحديد الموطن الأول للشعب السامي ويقودهم أيضا إلى اختلافهم في تعيين لغتهم الأولى المستعملة بين الشعوب السامية. فقال أحبار اليهود في العصور القديمة: إن العبرية هي أقدم لغة في العالم، ورأى بعض الباحثين أن الآشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية. ولم يقدم أصحاب هذه النظرية دليلا يعتد به. ورأى العالم أولسهوزن (Olshausen) من المحدثين، في مقدمة كتابه عن اللغة العبرية أن اللغة العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة، وأيد رأيه هذا بجملة أدلة ارتاح لها كثير من علماء العرب.⁸

هذا ما اعتمده بعض العلماء إلى الأمور المشتركة بين اللغات السامية في المفردات والقواعد، فاتخذ منها صورة للغة السامية الأولى، واعتبر أقرب اللغات السامية إلى هذه الصورة أقدمها نشأة وأولها وجودا.

وطرح الدكتور علي عبد الواحد وافي تعليقا عن آراء الباحثين السابقة قائلا "أن جميع هذه الآراء قائمة على أساس فاسد. وذلك أن جميع اللغات السامية قد اجتازت مراحل كثيرة في التطور قبل أن تصل إلى الحالة التي أتيج للعلماء معرفتها، فبعدت بذلك كل لغة منها عن النقطة الأولى التي ابتدأ منها تطورها. فمن الخطأ إذن النظر إلى واحدة منها على أنها أول لغة تكلم بها الشعب السامي. هذا إلى أنه من المستحيل أن تحتفظ لغة بوحدتها متى تعددت مناطقها وتعددت طوائف المتكلمين بها، بل لا مناص حينئذ من انشعابها إلى لهجات ولغات، ولا يعقل أن يكون الشعب

⁸ محمد أسعد النادري، فقه اللغة... ص. 111

⁹ عليعبد الواحد وافي، فقه اللغة... ص. 13

السامي الأول قد ظل محتفظا بوحدته الاجتماعية أو ظل حبيسا في منطقة واحدة من الأرض أمدًا طويلا، ولذلك يمكن القطع بأنه لم توجد أبدا أو لم تكد توجد لغة سامية واحدة، بل وجد من مبدأ النشأة عدد كبير من اللغات السامية".

غير أنه من المسلم به الآن لدي معظم المحدثين من علماء الاستشراق أن اللغة العربية قد احتفظت، بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها، وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى، ويرجع السبب في هذا إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين، وبقيتها في نقطة مستقلة منعزلة، فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى، ولم تذلل لها سبيل كثيرة للبعد عن أصلها القديم.¹⁰

هـ- نشأة اللغة العربية وأقسامها

تؤلف اللغة العربية مع اللغات اليمينية القديمة واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم الشعبة السامية الجنوبية. والسبب في توحيدها أن صلة القرابة التي تربطها بهذين الفرعين أقوى كثيرا من صلوات القرابة التي تربطها بشعبة اللغات السامية الشمالية، كما يبدو ذلك من الموازنة بينها في أصول الكلمات والأصوات والقواعد، وتختلف هذه الفروع الثلاثة نفسها في مبلغ قرابته بعضها من بعض.

وعلى ضوء على ما وصل إلينا من آثارها يمكن تقسيمها قسمين: العربية البائدة والعربية الباقية. أما العربية البائدة، والعربية الباقية التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف. وانشعبت منها اللهجات التي يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد الحجاز ونجد واليمن وفلسطين وبلاد الأخرى. وقد وصلت إلينا العربية الباقية عن طريق آثار العصر الجاهلي والقرآن والحديث وآثار الإسلامية المختلفة. وأقدم ما

¹⁰ نفس المرجع

وصل إلينا من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي. أما تطور اللغة العربية على عدة المراحل وهي:¹¹

(1) مرحلة الأصول : اللغة العربية فرع من فصيلة اللغات السامية، وهي أقدم اللغات السامية، والمراد بها: لهجات سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأردن شمالا إلى البحر العربي جنوبا، ومن خليج العجم شرقا إلى البحر الأحمر غربا. وانتشرت اللغة العربية إنتشارا واسعا كما لم تنتشر لغة أخرى من لغات العالم حين حملت رسالة الإسلام و حضارها فهي اللغة التعبدية للمسلمين في جميع بقاع العالم.

(2) مرحلة الجاهلي : في هذه المرحلة آثار أدبية تنسب لطائفة من شعراء العصر الجاهلي و حكمائها و خطبائها.إبراز معيار قيم تكون اللغة العربية الفصحى في قريش في ميادين الأدب شعرها وخطابها و نثرها في مختلف القبائل العربية.

(3) مرحلة صدرالإسلام : في هذه المرحلة بنزول القرآن يلون مجتمع العرب بمفردات جديدة وقواعدنظيمة وعلوم مختلفة من القرآن الكريم.

(4) مرحلة العربية بعد نزول القرآن : كان نزول القرآن الكريم با العربية اهم مراحل في تطورها فقد وحد لهجاتها المختلفة في لغة فصيحة واحدة قائمة على لهجة قريش.

(5) مرحلة العربية في عصر الأموي : ان تشتبك أفراد المجتمع العربي على أثر احتلال المناطق و انتشرت اللغة العربية في كل ميادين الحياة حتى تكون اللغة العربية للغة الدين والمعاملة.

(6) مرحلة العربية في عصر العباسي : في هذه المرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي وفي مغربه وفي الأندلس، وبدأت تلك المرحلة بالترجمة، وخاصة من اليونانية والفارسية، ثم الاستيعاب وتطويع اللغة، ثم دخلت طور التأليف والابتكار وتحميل صيغ عربية دلالات جديدة لتؤدي معاني أرادوا التعبير

¹¹ عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، ط/2، (المملكة العربية السعودية

: مركز البحث العلمي وحياء التراث، 2437هـ)، ص : 68

عنها. وبهذا استطاعت العربية التعبير عن أدق المعاني في علوم تلك الحضارة الشامخة وأدائها.

(7) مرحلة العربية في عصر الحديث : في هذه المرحلة شأن المسلمين والعرب منذ القرن السادس عشر الميلادي، وتعرضت بلادهم للهجمات الإستعمارية، رأى المستعمرون أن أفضل وسيلة لهدم تماسك المسلمين والعرب هي هدم وحدة الدين واللغة. وقد حاولوا هدم وحدة اللغة بإحلال اللهجات العامية محلّ العربية الفصيحة، وبدأت تلك الدعوة في أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، فأخذ دعايتهم يروجون لفكرة كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها عامة الناس.

و- لهجات اللغة العربية وصراعيها

هناك علاقة بين اللغة واللهجة، فاللهجة عند علماء العربية هي اللغة نفسها فيصح أن يقولوا لغة قريش أو لغة تميم أو لغة هذيل أو لغة طيء. وقد أطلق على اللهجة "اللسان" واللحن.

والبيئة الشاملة التي تتألف من عدة لغات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة. فالعلاقة بينهما هي علاقة العام بالخاص، فاللغة تشمل عادة من عدة لهجات، لكل منها ما يميزها. وهذه اللهجات جميعا تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.¹²

وهي مجموعة من الخصائص اللغوية تنتهي إلى بيئة معينة ويشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة التي تعد جزءا من بيئة أكبر تضم لهجات عدة وتتميز عن بعضها بطواهرها اللغوية، غير أنها تتفق فيما بينها بطواهر أخرى تسهل اتصال أفراد تلك البيئات بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من حديث.¹³

واللهجة في الإصلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتهي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. والصفات اللغوية

¹² حاتم الضامن، فقه اللغة، الأفاق العربية، 53

¹³ علي ناصر غالب، اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد (بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، 1989)، 32

المقصودة في هذا التعريف هي صفات تتعلق بتدقيق مخارج الحروف وكيفية نطقها. فإذا تفتت هذه الصفات في بيئة جغرافية معينة وسمت لهجة أهل هذه البيئة بما يميزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة، أو الصفات أو الخصائص التي تتميز بها بيئة ما في طريقة أداء اللغة أو النطق. هناك عدة أسباب التي تؤدي إلى نشأة اللهجات في اللغة العربية، وهي:¹⁴

(1) أسباب جغرافية :

إذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، تختلف الطبيعة فيها من مكان إلى مكان كأن توجد جبال أو وديان أو أنهار أو بحار، ومن فروق في الجو وطبيعة البلاد، ومع مرور الزمن يؤدي ذلك إلى حدوث لهجة جديدة تختلف عن لهجة أخرى.

(2) أسباب اجتماعية:

فالظروف الاجتماعية في البيئات المتعددة الطبقات تساعد على حدوث اللهجات. فكل طبقة تحاول أن يكون لها لغتها، أو أسلوبها اللغوي المميز. وثمة اختلاف لهجة بين الطبقات المهنية، إذ تنشأ لهجات تجارية وأخرى صناعة وثالثة زراعية وغيرها، فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن عاميتها الخاصة.

(3) احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور:

هناك شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوي، فاللهجات العربية مثلا، التي انتشرت في البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه.

(4) أسباب فردية :

ان اختلاف الفرد في النطق والتعبير بعد مرور الزمن يؤدي إلى تطوير اللهجة أو على نشأة لهجة أخرى إذا عاش في معزل عن يقوم لهم ألسنتهم.

(5) العامل السياسي: فانفصال قبيلة أو دولة عن غيرها، واعتناق المذاهب السياسية، أو الدخول في الديانات الجديدة يساعد على دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة في اللغة.

¹⁴ يحيى علي يحيى المبارك، أثر اختلافات اللهجات العربية في النحو، (القاهرة، دار النشر للجامعات:

(6) وزاد يحيى علي عاملا طبيعيا أسبابا لنشأة اللهجات في اللغة العربية حيث أنه يعود إلى خلقية عضوية يعزي إليها بعض ما يصيب اللغة التي يتكلمها أفراد مختلفون في عصور مختلفة من تبادلات صوتية أو نحوية أو غيرهما، ويرون أنه من المحال في ظل فروق كهذه أن تظل اللغة محتفظةً بوحدتها الأولى أمدًا بعيدًا. فعلى الرغم من أنه لم يثبت علميا -حتى الآن- وجود فوارق واضحة بين الناس في الجهاز الصوتي، بل وجد العكس، إذ برهن علماء الترشح أن أعضاء النطق عند الإنسان متحدة في جميع تفاصيلها، إلا أنه لا بد من الاعتراف بوجود فروق محسوسة بين الأفراد داخل الجماعة اللغوية في طريقة نطق بعض الأصوات تؤدي - مع مرور الوقت، وبعاقب الأجيال، وابتعاد أبناء الجماعة اللغوية بعضهم عن بعض- إلى وجود اختلافات قد تتسبب مستقبلا- مع عوامل أخرى - في نشأة لهجات داخل كيان اللغة الواحدة، وإلى هذه الأسباب يُعزى كثير من صور القلب والابدال والانحراف في نطق الأصوات والابتعاد بها عن مواقعها، مما يترتب عليه اختلاف في نطق الألفاظ، وتعدُّ في مظاهرها بين أفراد الجماعات اللغوية في داخل اللغة الواحدة.¹⁵

توجد لهجات كثيرة عند العرب، ولكن هناك عدة لهجات تعتبر أفصح من غيرها من اللهجات. وهذا ليس بمعنى حصر الفصاحة عند هذه القبائل دون غيرها وإنما أكثر ظواهر لهجات هذه القبائل كانت كثرة الاستعمال، وموافقة لغة القرآن الكريم واتفاق جمهور القراء أو عامتهم على سلامة اللهجة من الفساد والعجمة وتبعد هذه اللهجات عن العيوب.¹⁶

أولا : لهجة قريش :

كان قريش لها السيادة في اللهجات العربية فلقد استطاعت قريش أن تخرج لهجتها الأصلية من مكان الزل التي تقع به اللهجات الأخرى للعرب، وكانت قريش من القبائل التي تصهر في بوتقة لهجتها لهجات العرب الآخرين فتنتقي الكلمات

¹⁵ يحيى علي يحيى المبارك، أثر اختلافات،... ص. 28-29

¹⁶ عبد الله عبد الناصر جبيري، لهجات العرب في القرآن الكريم، (لبنان، دار الكتب العالمية، 2007)،

وتستحسنها فتجمعها في لهجتها وبذلك تشكلت لهجة لقريش على مرور الزمن أفصح من أي لهجة أخرى مع اقترابها من كافة لهجات القبائل في الجزيرة العربية، ولقد أورده السيوطي في المزمهر "كانت العرب تحضر المواسم في كل عام، وتحج إلى البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا بذلك أفصح العرب. ولذلك كان يعتبر أهل قريش أفصح العرب وأفضلهم لساناً وأوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوباً. ومن الجدير بالذكر أن أهل مكة أهل تجارة، فقد كانوا يتجهون بتجارهم شمالاً إلى بلاد الشام ومصر والعراق، وجنوباً إلى اليمن وغرباً إلى الحبشة وشرقاً إلى سواحل الخليج العربي، مما وفر لهم الاستفادة من تجارهم المادية شيئاً من المدنية التي كانت تنعم بها الروم والفرس، ومن ثقافتهم خاصة الأدب منها، وهذا أمر طبيعي أن ينمير الإنسان بثقافات الأمم المتعدنة.¹⁷

ثانياً : لهجة أهل الحجاز :

تبدأ أراضي الحجاز من تخوم صنعاء جنوباً إلى تخوم الشام، وذلك أن جبل سراة - أعظم جبال العرب - أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً. ولأنه حجز بين الغور، وهو هابط، وبين نجد، وهو ظاهر. أما أبرز القبائل التي سكنت الحجاز فهي : أشجع، وأسد، وغطفان، وعذرة، وجهينة، وهوازن، ومزينة، وسليم، وهذيل، وكنانة.

ثالثاً : لهجة أهل نجد :

تبدأ حدود نجد مما هو دون جبل السراة في شرقية من صحاري، إلى أطراف العراق والسماوة، وتنقسم إلى قسمين : نجد العالية وهي ما ولي الحجاز وتهامة، ونجد السافلة وهي ما ولي العراق.

رابعاً : لهجة تميم

¹⁷ محمد فوؤد عليان، المهارة اللغوية ماهيتها وطرائق تنميتها، ثقافة، (بيان العربي)، ص. 105-106

تعد لهجة تميم من اللغات البارزة والمشهورة لدى العرب، فهي من اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم، واعتد اللغويون بها في تسجيل قواعد اللغة. والمؤلفون الذين أفردوا لهجة تميم في كتبهم كثيرون كل ذلك بسبب فصاحة هذه اللهجة.
خامسا: لهجة أسد

قبيلة أسد إحدى القبائل العدنانية المتسعة البطون وهي على صلة بقرش إذ تلتقي معها في خزيمة بن مدركة كما تلتقي مع هزبل في مدركة بن الياس بن مضر.¹⁸ لقد اعتد اللغويون بلغة أسد عندما عكفوا على تدوين اللغة. والأزمري يصف أحد أعرابهم بالفصاحة فيقول: "سمعت أعرابيا فصيحاً من بني أسد يقول . . ."، فلا يمكن وصف الأعرابي بالفصاحة إلا إذا كانت لهجة التي يعبرها فصيحة.¹⁹

غير أنه قد أتيح لهذه اللهجات المتعددة فرص كثيرة للاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع ومجاورة القبائل العربية بعضها لبعض وتنقلها في طلب الكالأ وتجمعها في الحج والأسواق والحروب الأهلية، فاشتبكت من اللهجات العربية بعضها مع بعض في صراع لغوي كتب النصر فيه لهجة قرش، فطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة، واستأثرت بميادين الأدب شعرها وخطابها ونثرها في مختلف القبائل العربية فأصبح العربي، أيا كانت قبيلته، يؤلف شعره وخطابها ونثره الأدبي بلهجة قرش، ولهجة قرش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية قبل الإسلام.²⁰

ي- لهجة قرش

ولقد دأب العلماء السابقون على اعتبار لهجة قرش هي الفصحى ولا شيء سواها. قال أحمد ابن فارس: "كانت قرش، مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها وهي أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إيابة عند النطق."²¹

¹⁸ علي ناصر غالب، اللهجات العربية،... ص. 10

¹⁹ عبد الله عبد الناصر جبيري، لهجات العرب،... ص. 90

²⁰ علي عبد الواحد الوافي، فقه اللغة،... ص. 87

²¹ أحمد ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها (القاهرة: المكتبة السلفية، 1919).

والذي تميز لهجة قريش عن سائر لهجات الجزيرة العربية عوامل كثيرة لغوية ودينية وسياسية واقتصادية، فلم تكن لهجة قريش أقل فصاحة أو ذات طابع مغمور قبل ظهور الإسلام، بل كانت من اللهجات السائدة الفصيحة، القريبة من اللغة النموذجية، ولما جاء الإسلام زادت مكانتها وعلا شأنها. ومن عوامل تفوق لغة قريش على لغات الجزيرة العربية، هي :

1- العامل الجغرافي

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه "وقريش هم أوسط العرب في العرب داراً، وأحسنه جواراً، وأعربه السنة"، فلقد كانت قريش ذات موقع جغرافي يبعد عن كل ما يمكن أن يعكر صفو لغتها فلم تكن قريبة من بلاد الروم ولا من بلاد فارس فلا تختلط لغتها العربية بأي لغة أخرى مما قد يؤدي إلى انحراف لهجتها عن اللغة الأصلية

2- العامل الديني

يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز لنبيه إبراهيم بعد أن أتم بناء الكعبة الشريفة في أرض الحجازاً نَدْنُ الْفَارِسِيَّ بِالْحَجِّ يَتْلُوكَ رِجَالًا لَا أَوْعَىٰ كَلِمَ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" (الحج: 27)

إذا نحن نتكلم هنا عن أرض بدأت كل القبائل العرب تؤمها منذ زمن سيدنا إبراهيم إلى أن بعث الله نبينا محمداً بالإسلام وأنزل عليه القرآن ، فلقد حظيت قريش بشرف خدمة الحجاج الآتين إلى كعبته الشريفة وبذلك قدر لهمجتهم أن تختلط مع لهجات العرب الآخرين. فكان لقريش بذلك سلطان الديني على بقية القبائل العربية²².

3- العامل الثقافي

لا يمكن لنا أن نتحدث عن العامل الثقافي دون أن نركز على أهم مركز للثقافة في كل الجزيرة العربية وهو سوق عكاظ، حيث كانت القبائل العربية تجتمع في ذلك السوق وتبارز بالشعر والخطابة بلهجة قريش وذلك مما أعطى لهجة قريش انتشاراً واسعاً بين القبائل العربية واعتبارها اللهجة الأسهل للتفاهم

²² علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ... ص. 106

بين القبائل والتقارب بين اللهجات ومن جانب آخر فإن قريشاً كانت تستمع لما يخرج به عرب القبائل الأخرى من اختيار لأحسن الألفاظ لكي يظهروا مدى قوى لهجاتهم فكانت تتخير قريش أفضلها وتضيفها إلى لهجاتها.²³

4- العامل الإقتصادي

مع فضل الحج للكعبة الشريفة في مكة ، فلقد أصبحت قريش مركزاً تجارياً هائلاً بين القبائل فلقد كانت القوافل العربية تنطلق من قريش في الشتاء وفي الصيف، واختلاط التجار القرشيين مع غيرهم من التجار جعل من لغتهم أوسع انتشاراً. ويقومون في مختلف الفصول برحلات تجارية منظمة و من أشهرها رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم، إذ يقول " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" ويفضل هذا انشاط التجاري أصبح زمان الثروة في هذا البلاد بيد قريش.²⁴

5- العامل السياسي

كانت القبائل تدين لمكة بالسيادة والمكانة الرفيعة، ولأهلها بالاكرام والتبجيل لأنها احتضنت الدين أولاً، وملكتم المال ثانياً، وحقق لها هذان السببان سلطاناً سياسياً قوياً.ولهذه الأسباب كانت اللهجة القرشية من أقوى اللهجات أثراً في تكوين اللغة العربية الفصحى، وتتميز تلك العربية الفصحى المشتركة بصفات معينة، شأنها في ذلك شأن كل لغة مشتركة.²⁵

لعل هذه، هي أهم العوامل التي أثرت وبشكل جليّ في تشكل لهجة قريش وتفردتها عن غيرها من اللهجات ، والتي أدت فيما بعد من اعتبارها أكثر اللهجات فصاحة واقترباً من اللهجة الأم، والتي وصلت إلى مرحلة من المراحل لكي تكون اللهجة الأوسع انتشاراً بين القبائل العربية باعتبارها لهجة مركزية وشاملة .

²³ عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية ، ... ص. 66

²⁴ عبد السميع سالم الهراوي ، لغة الإدارة العامة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987)، ص.

²⁵ حاتم صالح ضامن، فقه اللغة ،... ص. 50

الخاتمة

تتكون فصيلة لغوية بشرية من عدة، وتشتمل هذه الفصيلة على مجموعتين، وهي: مجموعة اللغات الحامية والتي تشمل على ثلاثة طوائف: أولاً: اللغات المصرية القديمة والقبطية، ثانياً: اللغات الليبية أو البربرية، وهي لغات السكان الأصليين لشمال إفريقيا، وأهمها، اللغات القبيلية (Kabyles)، والشاوية، والتماشكية، ثالثاً: اللغات الكوشيتية، وهي لغات السكان الأصليين للقسم الشرقي من إفريقيا التي تشتمل اللغات الصومالية، ولغات الجالا، والبديجا، ودنقلة، ما عدا المنطقة الحبشية الناطقة بلغات سامية، وما عدا مناطق السودان. ثم تلها مجموعة اللغات السامية، وتشمل على طائفتين: أولاً: اللغات السامية الشمالية التي تشمل لغات الأكادية أو الآشورية البابلية، واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية)، واللغات الآرامية، ثانياً: اللغات السامية الجنوبية التي تشمل لغات العربية، واليمينية القديمة، واللغات الحبشية السامية.

وموطنهم الأصلي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة وهي بلاد نجد والحجاز واليمن وما إليها. ويمكن تقسيم اللغة العربية إلى قسمين: العربية البائدة والعربية الباقية. هناك عدة أسباب التي تؤدي إلى نشأة اللهجات في اللغة العربية، وهي: أسباب جغرافية، وأسباب اجتماعية، واحتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور، أسباب فردية، والعامل السياسي، والعامل الطبيعي.

توجد لهجات كثيرة عند العرب، ولكن هناك عدة لهجات تعتبر أفصح من غيرها من اللهجات وهي لهجة قرينش، لهجة أهل الحجاز، لهجة أهل نجد، ولهجة أسد. وهذا ليس بمعنى حصر الفصحى عند هذه القبائل دون غيرها وإنما أكثر ظواهر لهجات هذه القبائل كانت كثرة الاستعمال، وموافقة لغة القرآن الكريم واتفاق جمهور القراء أو عامتهم على سلامة اللهجة من الفساد والعجمة وتبعد هذه اللهجات عن العيوب. ثم تغلبت لهجة قرينش على سائر لغات القبائل العربية لأسباب، منها: العامل الجغرافي، والعامل الديني، والعامل الثقافي، والعامل الإقتصادي، والعامل السياسي.

المراجع

- ابن فارس، أحمد. الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، القاهرة : المكتبة السلفية، 1919.
- أبو صالح، بدر الدين. المدخل إلى اللغة العربية، ط/2، بيروت: دار الشرق العربي، ب.ت.
- سالم الهراوي، عبد السميع. لغة الإدارة العامة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
- صالح ضامن، حاتم. فقه اللغة، القاهرة: دارالأفاق العربية، 2007.
- عبد الناصر جبري، عبد الله. لهجات العرب في القرآن الكريم، لبنان، دار الكتب العالمية، 2007.
- عليان، محمد فوؤد. المهارة اللغوية ماهيتها وطرائق تنميتها، ثقافة، بيان العربي.
- عمر، عبد المجيد الطيب. منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، المملكة العربية السعودية : مركز البحث العلمي وحياء التراث، 1437هـ.
- غالب، علي ناصر. اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، بغداد : وزارة الثقافة والاعلام، 1989
- النادري، محمد أسعد. فقه اللغة مناهله ومسائله، بيروت: المكتبة العصرية، 2008.
- وافي، على عبد الواحد. فقه اللغة، القاهرة : نهضة مصر ، 2008.
- يحيى المبارك، يحيى على. أثر اختلافات اللهجات العربية في النحو، القاهرة، دار النشر للجامعات: 2007.

